الثورة العربية الكبرى

— ٢ —

وعود الحلفاء

بقلم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني

لما اندلع لهيب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م. صرح محدثوا الحلفاء الرسميون ان الحلفاء لا يستهدفون من حربهم هذه ضم اراض جديدة أو الحاق مدن اخرى باراضيهم وانهم انما يحاربون لتحرير الشعوب التي ترزح تحت الطغيان الالماني والتركي وليست لهم أية نية في أي توسع اقليمي . وقد زاد دخول امريكا الحرب « الى جانب الحلفاء » هذا المبدأ توكيداً (١) وليس في الامكان حصر وعود الحلفاء بتحرير الشعوب المظلومة من نير الاضطهاد الذي فرضه عليها أعداؤها وانما نستطيع أن نأتي على البعض منها :

أ — منشور جنرال مود

فلما احتل جنرال مود مدينة بغداد في يوم ١١ آذار ١٩١٧م. نظمت الدوائر السياسية في الهند ولندن منشوراً ليذاع على اهل بغداد باسمه قبل ان يطلع عليه أو يؤخذ رأيه فيه فأذيع في اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور، ويقول فيليب آيرلند في كتابه (تطور العراق السياسي) ان مودا احتج على ما جاء في هذا المنشور لأنه كان يرى ان اتباع هذه السياسة (غير ضروري وفي غير أوانه، واعتبر ان هذا التصريح وهذه السياسة سيخلقان بلبلة في اذهان العرب حول نوايا بريطانية المقبلة ويثير آمالهم ومطامحهم في وقت يجب ان تكون سلطة بحيث البريطاني هي العليا مطلقة في المناطق المختلة) (٢) وهذا مما يزيد في قيمة هذا المنشور ولا أدع مجالا للشك في انه ما كتب ولا اذيع لمقاصد عسكرية . اما نص المنشور فهو :

يا أهالي ولاية بغداد :

انني باسم جلالة ملكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم عليها اوجه اليكم الخطاب الآتي

الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع فانما لهذه المهمة وجهت الي السلطة العليا المطلقة على جميع الاطراف التي تحارب فيها جنودنا . الا ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين أو اعداء بل بمنزلة محررين.

لقد خضع مواطنوكم منذ ايام هولاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم وأنت اشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق . لقد سبق ابناؤكم الى حروب لم تنشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في اصقاع شاسعة .

تكلم الاتراك منذ ايام مدحت باشا عن الاصلاح ، ومع ذلك أفليس دثور اليوم وقفوره برهاناً على بطلان هذه المواعيد ؟ انها ليست امنية جلالة ملكي المعظم فقط وامنية شعوبه بل انها ايضاً امنية الامم العظمى المتحالفة معها جلالته ان تفلحوا كما في السابق، وقد كانت اراضيكم مخصبة ، وكان العلم يتغذى بالبان آداب جددكم وعلومهم وحرفهم ، ووقت ما كانت بغداد احدى غرائب الدنيا .

لقد ارتبط قومكم بايالات جلالة ملكي المعظم بعروة المصالح الوثقى : فقد تعاطى تجار بغداد وتجار بريطانية العظمى بعضهم مع بعض مدة مئة سنة متبادلين المنفعة والصداقة . اما الالمانيون والاتراك الذين تهبوكم انتم وذويكم فانهم اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركز قوة يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في بلاد ايران والامصار العربية ، فعلى ذلك لم تمالك الحكومة البريطانية من البقاء ضاربة الصفح عما يحدث في وطنكم حاضراً او مستقبلا ، اذ انه قياما بواجب مصلحة الشعوب البريطانية وشعوب حلفائها لا تستطيع الحكومة البريطانية المجازفة في وقوع ما عمله الأتراك والجرمان ببغداد اثناء

(١) تيرلي في كتابه « تاريخ مؤتمر الصلح في باريس » م ٦ ص ٥٠٠

(٢ (آيرلند ص ٩٩

الحرب مرة ثانية ، ولكنكم يا أهالي بغداد يا من حرفكم التجارية وتأمينكم من الظلم الغزو امر يستوجب ادق اهتمام الحكومة البريطانية به ابد الدهر لا يجب عليكم ان تظنوا بان رغبة الحكومة البريطانية هي تكليفكم نظامات اجنبية فامنية الحكومة البريطانية هي ان تحقق ما تطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة اخرى ، ولسوف يسعد أهالي بغداد حالهم ويتمتعون بالغنى المادي والمالي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة واطماحهم القومية الفيكريه .

لقد طرد العرب من الحجاز الاتراك والجرمان الذين بغو عليهم ، وقد نادوا بعظمة الشريف حسين ملكاً عليهم وعظمته بحكم بالاستقلال والحرية ، وهو متحالف مع الامم التي تحارب دولتي تركية وجرمانية ، وهذه هي حقيقة حال اشراف العرب وامراء نجد والكويت - وعسير كثيرون هم اشراف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على ايدي اولئك الحكام الغرباء الاتراك الذين ظلموهم.

ان التصميم لهو تصميم بريطانية وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على ان لا يذهب ما قاساه هؤلاء الاعراب الشرفاء هباء منثورا . ان المأمول لهو مأمول بريطانية العظمى والامنية امنيتها بل هما مأمول وأمنية الامم المتحالفة معها ، ان تسمو الامة العربية مرة اخرى عظمة وصيتاً ، وان تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغايه بالاتحاد والوئام .

يا أهالي بغداد ! تذكروا بانكم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلا ، آذاكم الظلمة الغرباء الذين سعوا دائماً ابداً الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من انشقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانية العظمى وحلفائها اذ انه حيث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح فبناء عليه انني مأمور بدعوتكم بواسطة اشرافكم والمتقدمين فيكم سناً وممثليكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانية السياسيين المرافقين الجيش كي تنظموا مع ذوي قرباكم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا في تحقيق اطماحكم القومية إ هـ « ١ » .

ب ﴿ العهد البريطاني للسوريين السبعة ﴾

« الف سبعة من العرب المقيمين في القاهرة هيئة منهم للقيام - بعمل مشترك في ربيع عام ١٩١٩ م . حين هاج شعور العرب على اثر صدور وعد بلفور واذاعة اتفاقية سايكس - بيكو ، وقد تكلمنا عنهما كثيراً في الفصل الرابع » حتى تزعزعت اركان الحلف العربي - البريطاني وكانوا جميعاً من ذوي المكانة والنفوذ الذين اطلعوا على مضمون اتفاق الحمين ومكاهون في حينه فراحوا يعملون بحماس منذ ذلك الوقت على تأييد الثورة العربية ، اما الآن فقد تملكهم الشكوك والمخاوف الخطيرة بنتيجة القلق الشديد الذي ساد العالم العربي وما انتاب اعتقادهم بصدق الحلفاء من وهن عظيم فكتبوا تصريحاً في شكل مذكرة موجهة الى الحكومة البريطانية شرحوا فيها الموقف كما تراءى لهم من ناحيته الخارجية والداخلية وطلبوا من بريطانية العظمى تعريف سياستها المتعلقة بمستقبل البلاد العربية بمجموعها في بيان واضح وشامل ... وبعد مضي مدة من الزمن اي بتاريخ ١٦ يونيو عام ١٩١٨ وردجواب وزارة الخارجية البريطانية فكان على جانب كبير من الأهمية في مضمونه وفي الاثر الذي تركه ، وقد سلمه الى السبعة احد كبار موظفي الاستخبارات واسمه المستر لورند في اجتماع رسمي عقد لهذه الغاية في مقر قيادة الجيش » (٢) وهذا نصه :

أ - ان حكومة جلالة الملك ترغب في ان تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغه العربية منتفذة من السلطة التركية وان تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التي ترغب فيها

٢ - ان بعض البلاد العربية اذا كانت تتمتع باستقلالها التام منذ مدة او حصلت عليه الآن ، وهو استقلال

(١) عبد الرزاق الحسني في كتابه « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » ج ١ ص ٥٧ - ٥٨

(٢) جورج انطنيوس في كتابه « يقظة العرب » ص ٢٩٨ - ٢٩٩

اعترفت به انكلترة اعترافاً تاماً ، وهذا يكون شأنها ايضا مع البلاد التي تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب

٣ ـ ان سائر البلاد العربية هي الآن اما خاضعة للترك او تحتلها جيوش الحلفاء ، فحكومة جلالة الملك تأمل ، ولها الثقة ، ان شعوب هذه البلاد تحصل ايضاً على حريتها واستقلالها وان يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغائبها

٤ ـ ان حكومة جلالته تعتقد ان العوائق والصعوبات المقدرة التي تقف في سبيل احياء هذه الشعوب سيتغلب عليها تغلباً ناجحاً ، وهي تعد بكل مساعدة لمن يسعى في ازالتها ومستعدة لأن تنظر في اية خطة لعمل مشترك يلتأم مع الحركات العسكرية الحاضرة ، ويتفق مع المبادئ السياسية لبريطانية وحلفائها. (١)

ويرى المتتبعون للسياسة البريطانية ان هذا التصريح يعد اخطر بيان أصدرته بريطانية العظمى لتوضيح سياستها نحو « الثورة العربية » ونحو البلاد العربية التي انسلخت من تركية حرباً

جـ ـ برقية وجوابها

اصطنعت السلطات البريطانية في العراق رجالا معلومين من طبقات مختلفة فيهم المتزي بزي رجال الدين وفيهم من يعاطى التجارة وآخرين يتظاهر بالوجاهة والزعامة لايهام الرأي العام في خارج العراق ، واحياناً في داخله ، بأن السلطة المحتلة متمتعة بثقة العراقيين وحائزة على رضاهم وقد زار جماعة من هؤلاء المتزين بزي رجال الدين وغيرهم الحاكم العسكري ـ السياسي في النجف في ٣ تشرين الاول ١٩١٨ م . وأعربوا له عن فرحهم بانتصار الحلفاء في احد الميادين الحربية فاهتبل الحاكم هذه الفرصة وطير البرقية التالية الى الحاكم الملكي في بغداد :

زارني علماء النجف واعيانها وتجارها والقنصل الايراني فيها وطلبوا الي ان انوب عنهم بتبليغ القائد العام تبريكاتهم في انتصار جيوش الحلفاء في بلغاريا وفلسطين وسورية .

فرد عليه الحاكم الملكي العام مبرقاً في ال ٤ من تشرين الاول يقول :

« الرجاء ان تبلغوا علماء النجف واعيانها وتجارها والقنصل الايراني فيها شكر القائد العام على تبريكاتهم . والقائد العام يود منكم تذكيرهم بما هو معروف عند كل احداث بريطانية العظمى تحارب المانيا لاجل صيانة العهود التي لا يحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التي تكون سعادتها متوقفة على رعاية هذه العهود ، والنتيجة الحاضرة للفوز الذي احرزته جنود الحلفاء في الشرق الادنى هي تحرير الشعوب التي قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها ، وقد اذعنت بلغارية للصلح بعد ان كسرت فاجليت جيوشها عن سربيا والبانيا والجبل الأسود ، وعلى حسب ما تقتضي به حقوق الشعوب فان المناطق البلغارية التي يسكنها اليونان تعطى الى اليونان والمناطق التي يسكنها الصربيون تعاد الى صربيا ، وان عين الاهتمام الذي يعمل به الحلفاء في تأمين حقوق الشعوب هو الذي يتخذونه منهاجاً في سياستهم نحو العرب ، وكما ان الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فان العرب ايضاً حاربوا جنباً لجنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربي » إه « ١ »

د ـ ﴿ البلاغ الانكليزي ـ الفرنسي ﴾.

لما دخل الأمير فيصل نجل الملك حسين الشام في اول تشرين الاول ١٩١٨ م على رأس الجيش العربي اراد أحد رجاله ، شكري الايوبي ، ان يعلن قيام السيادة العربية في ارض سورية فرفع العلم العربي في اليوم الثالث من الشهر المذكور فاستاء الفرنسيون من هذا العمل وحملوا جنرال اللنبي على انزاله فوراً فكان انزال العلم ضربة قاضية على آمال الفاتحين وسبب هيجاناً عنيفاً في دمشق فاحتج الامير فيصل

(١) نوري سعيد في كتابه « استقلال العرب ووجدتهم » ص ٤٦

« ١ » جريدة العرب العدد ١٠٧ بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٩١٨

لدا المانى معلناً عجزه عن كبح جماح القوات العربية ما لم يصدر الحلفاء بياناً يوضحون فيه نواياهم نحو العرب على صورة رسمية فسارع الحلفاء الى اصدار البيان التالي في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨م وكان مما حمل الحلفاء على الاسراع في اجابة رغبة الامير فيصل ، نشر الشيوعيين لوثائق السرية التي عثروا عليها في ديوان وزارة الخارجية القيصرية في ٣ تشرين الاول ١٩١٧ م وبضمنها اتفاقية سايكس - بيكو المشؤومة التي جزأت البلاد العربية الى دويلات تحت انتداب الحلفاء ، وظهور وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م . وسائر الحركات الاستفزازية التي جعلت العرب قلقين على مستقبلهم وناقمين على تحالفهم مع الانكليز والفرنسيين فأرادت الحكومتان الانكليزية والفرنسية تبديد هذه المخاوف فاذاعتا هذا المنشور :

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسة وبريطانيه العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانية ، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريراً تاماً نهائياً ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم . وتنفيذ هذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسة وبريطانية العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سورية والعراق ، وقد حررها الحلفاء فعلا ، وفي الاقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها ، والاعتراف بهذه الاقطار ، بمجرد تأسيس حكوماتها تأسيساً فعليا ، وان فرنسة وبريطانية العظمى لا ترغبان في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الاقطار ، بل لا هم لهما الا ان تضمنا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير امور هذه الحكومات والادارات التي يختارها السكان الوطنيون سيراً معتدلا ، وان تضمنا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة وان تساعد التقدم الاقتصادي بانهاض همم الاهلين وتشجيع مشاريعهم ، وان تساعدا على تعميم التعليم والتهذيب وان تضعا حداً للتفرقة التي طالما توخاها الاتراك في سياستهم .

هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان المتحالفتان في الاقطار المحررة « ١ »

وتقول مس بيل في مذكرة لها نشرها كولونيل . أتي رلسن في كتابه .

« ان نشرنا للتصريح الانكليزي - الفرنسي ادى على اهميته السياسية العظيمة الى نتائج يؤسف لها في العراق ، والواقع انه يكاد يردد ما جاء في التصريح الذي سبق لنا ان أدلينا به عند احتلال بغداد الا انه يختلف عنه في نقطة مهمة هي ان الاول جاء ونتائج الحرب لا تزال بين الشك واليقين فاعتبره الناس حيلة عسكرية ولم يعيروه اهتماما زائداً اما الثاني فجاء بعد ان انتصر الحلفاء وبعد ان آمن الناس بهذا النصر ، وكان اهل العراق قبل ان ينشر فيهم هذا التصريح قد ايقنوا بعد الذي رأوه من نجاحنا في انهاء الحرب ان البلاد ستبقى تحت السلطة البريطانية وان عليهم ان يرضوا بما عليه السيف ولكن هذا التصريح فتح لهم ابوابا جديدة للأمل ظلوا خائفين عليها « ٢ »

* * *

هذه جملة من وعود الحلفاء للعرب عامة والعراقيين خاصة ويتضح منها أنهم كانوا مصممين على منح الشعوب العربية الحرية التامة « لتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من نفس رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم فهل حققت الايام هذه الاحلام ؟

يتبع

عبد الرزاق الحسني

« ١ » لودر - في كتابه « القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق » ص ٢٥ - ٢٦

« ٢ » ا . تي ولسن في كتابه « تصادم في الولاء . » ص ٣٣٠ من المجلد الثاني

انشروا اعلاناتكم
في مجلة البيان